

التحرير والتنوير

وفرع على ما تضمنته جملة (قد يعلم ا] الذين يتسللون منكم لو اذا) تحذير من مخالفة ما نهى ا] عنه بقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) الآية بعد التنبيه على أنه تعالى مطلع على تسللهم .

والمخالفة : المغايرة في الطريق التي يمشي فيها بأن يمشي الواحد في طريق غير الطريق الذي مشى فيه الآخر ففعلها متعد . وقد حذف مفعوله هنا لظهور أن المراد الذين يخالفون ا] وتعدية فعل المخالف بحرف (عن) لأنه ضمن معنى الصدود كما عدي ب (إلى) في قوله تعالى (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) لما ضمن معنى الذهاب . يقال : خالفه إلى الماء إذا ذهب إليه دونه ولو تركت تعديته بحرف جر لإفادة أصل المخالفة في الغرض المسوق له الكلام .

وضمير (عن أمره) عائد إلى ا] تعالى . والأمر هو ما تضمنه قوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فإن النهي عن الشيء يستلزم الأمر بضده فكأنه قال : اجعلوا لدعاء الرسول الامتثال في العلانية والسر . وهذا كقول ابن أبي ربيعة :
فقلن لها سرا فديناك لا يرح ... صحيحا وإن لم تقتليه فألمم فجعل قولهن (لا يرح) صحيحا وهو نهى في معنى : اقتليه فبنى عليه قوله (وإن لم تقتليه فألمم) .

والحذر : تجنب الشيء المخيف . والفتنة : اضطراب حال الناس وقد تقدمت عند قوله تعالى (والفتنة أشد من القتل) في البقرة . والعذاب الأليم هنا عذاب الدنيا وهو عذاب القتل . (ألا إن ا] ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا وا] بكل شيء عليم [64]) تذييل لما تقدم في هذه السورة كلها . وافتتاحه بحرف التنبيه إيذان بانتهاء الكلام وتنبيه للناس ليعوا ما يرد بعد حرف التنبيه وهو أن ا] مالك ما في السماوات والأرض فهو يجازي عباده بما يستحقون وهو عالم بما يفعلون . ومعنى (ما أنتم عليه) الأحوال الملابس لها من خير وشر فحرف الاستعلاء مستعار للتمكن . وذكرهم بالمعاد إذ كان المشركون والمنافقون منكربنه .

وقوله (فينبئهم بما عملوا) كناية عن الجزاء لأن إعلامهم بأعمالهم لو لم يكن كناية عن الجزاء لما كانت له جدوى .

وقوله (وا] بكل شيء عليم) تذييل لجملة (قد يعلم ما أنتم عليه) لأنه أعم منه .

وفي هذه الآية لطيفة الاطلاع على أحوالهم لأنهم كانوا يسترون نفاقهم .

بسم ا] الرحمن الرحيم .

سورة الفرقان .

سميت هذه السورة " سورة الفرقان " في عهد النبي A وبمسمع منه . ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال : " سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكادت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلبيته بردائه فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت : إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأها . " الحديث .

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير هذا . والمؤدبون من أهل تونس يسمونها (تبارك الفرقان) كما يسمون (سورة الملك) تبارك وتبارك الملك .

ووجه تسميتها (سورة الفرقان) لوقوع لفظ الفرقان فيها . ثلاث مرات في أولها ووسطها وآخرها .

وهي مكية عند الجمهور . وروي عن ابن عباس أنه استثنى منها ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) إلى قوله (وكان الله غفورا رحيما) . والصحيح عنه أن هذه الآيات الثلاث مكية كما في صحيح البخاري في تفسير الفرقان : (عن القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير : هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة ؟ فقرأت عليه (ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق) . فقال سعيد : قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي ؟ فقال : هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء . يريد قوله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية) . وعن الضحاك : أنها مدنية إلا الآيات الثلاث من أولها إلى قوله (ولا نشورا) .

وأسلوب السورة وأغراضها شاهدة بأنها مكية .

وهي السورة الثانية والأربعون في ترتيب النزول نزلت بعد سورة يس وقبل سورة فاطر وعدد آياتها سبع وسبعون باتفاق أهل العدد .

أغراض هذه السورة